

وسام جبران

سفر الغائب

وسام جبران

سفر الغائب

شعر

2023

وسام م. جبران

يسفر الغائب

شعر

الطبعة الأولى 2023

لوحة الغلاف: يمن جبران

"أكربليك على ورق مقوى"



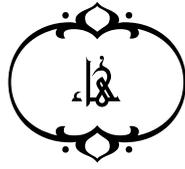
دار جبران للنشر - الناصرة

Gibran Publishing - Nazareth

Publishing Literature and Music Online

<https://gibran-litr.org/poetry>





لمن هذه الأرض؟

يسألُ

هو الذي يقف على سكة القطار

ينتظرُ

موتَه الحافلَ بالبشرِ

لمن هذه الأرض؟

يسألُ

أولُّ النهارِ آخرَ النهارِ

عن هجرة النجومِ

انتشارها

تبدُّدها

انبعاثها

كيف صار الغبارُ كونًا

يتكاثُرُ

في حَبَّةِ مَطَرٍ؟

لِمَن هَذِهِ الْأَرْضُ الْكِتَابُ

؟

قَلَمٌ

يَكْتُبُ، بِالْحَبْرِ الْأَسْوَدِ،

يَدَهُ الْيُمْنَى      بِيَدِهِ الْيُسْرَى

وَيَشْطُبُ

يَدَهُ الْيُسْرَى      بِيَدِهِ الْيُمْنَى

كَيْفَ صَارَ الْأَسْوَدُ وَاحِدًا مِنْ أَسْمَائِنَا؟

كَيْفَ صَارَ الْيُسْرَى وَاحِدًا مِنْ أَسْمَائِنَا الْحُسْنَى؟

الحَبْرُ

يُشِيرُ الحَبْرُ إِلَى الضَّوِّ فِي مَروره العَابِرِ

يَمُدُّ خِيوطَهُ

يُمسِكُ بصِهيلِ الفراغِ المُتَّسِعِ

يَندَفِعُ

حِيناً يَندَفِعُ

وَحِيناً

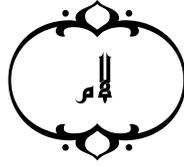
يَخْتَفِي الزَّمانُ

يَصِيرُ الحَبْرُ نَقْطَةً

تَجْمَدُ

فَوْقَ نُونِ الزَّمانِ الغائِرِ





أَنْ تَكُونَ بِلا اسْمٍ  
أَنْ تَكُونَ بِلا جَسَدٍ  
فلا المرأة التي أنجبتك  
ولا التي غيّبتك  
تأخذك  
إلى كفِّ يدك  
إلى متاهاتِ الأبدِ  
ولا الذكري  
تضربُ في رَمْلِكَ  
ولا الفكرة  
تُناديكِ بأحرفٍ تكتبها الرِّيحُ  
ونبرةٍ  
تُخَيِّمُ في أرضك  
بلا وتدٍ

أَنْ تَكُونَ بِلا اسْمٍ

أَنْ تَكُونَ بِلا وِلْدٍ

فَلا أَنْتَ اِمتِدادٌ وَلا أَنْتَ البِدايَةُ

وَلا أَنْتَ المِعايِ وَلا أَنْتَ الكِنايَةُ

لا في الكِتابِ أَنْتَ

وَلا في الصِلاةِ

لا في العُقْرِ

وَلا في السُّلالَةِ

لا مِمالِكَ لَكَ على هِذه الأَرْضِ

لا عُرُوشَ لا جِلالَةَ

مِمالِكَتُكَ

في غيرِ هِذه الدُّنيا

والأَرْضُ تُعَرِّتُ لِغازِ

وَلِي مِنَ هِنا

وغازٍ من هنا وقد

أن تكون بلا اسمٍ

أن تقحم السماء بانعطافٍ غيمةٍ تدخل

الشتاء في ليلة صيفٍ تغلق

عُيونَ الرُّزقة من خلفك

بمفتاح النبوءة

وقبْحِ الرّمْد

أن تمرّ بين ملائكةٍ تكاثرت في كتابٍ تُنقِذُ سوسنةً من الرُّحامِ

أن تؤجّلَ ميعادَ موتك

لا لشيء سوى

أن تُعدَّ للآخرين جنازةً

تليقُ بموتك

وهَيْبَةُ الرُّخَامِ

أَنْ تَكُونَ وَحِيدًا بَصِغَةَ الْجَمْعِ

حَائِرًا

مَتَأَلِّفًا

فِي احْتِبَاسِ الدَّمْعِ

رَائِيًا

مَاضِيًا إِلَى آتِ

كُلِّ الْحُرُوفِ أَنْتَ

وَلَا اسْمَ لَكَ

كُلُّ الْقَبَائِلِ الْمُقِيمَةِ

كُلِّ الْمَهَاجِرِ

كُلُّ الْأَبْجَدِيَّاتِ الَّتِي تَمَرَّقَتْ

فِي اللُّغَاتِ

فِي الْحَنَاجِرِ

كُلُّ رَفَقَةٍ جَفَنٍ أَنْتَ  
حَرَكْتُ فِي التَّرَابِ بَدْوَرًا  
وَكُلُّ نَشْوَةٍ  
أَعَادَتِ لِلْحَيَاةِ سَكْرَةَ الْحَيَاةِ  
فِي الْمَقَابِرِ

لَا دَرْبَ يُوَصِّلُكَ إِلَى قِيَامَةٍ  
لَا الصَّلِيبُ وَلَا الرَّسَالَةُ  
لَا الْخَطِيئَةُ وَلَا الْهِدَايَةُ  
لَا شَيْءَ

يُشْبِهُ دَمَكَ وَأَنْتَ كَمَا أَنْتَ  
بِلا جَسَدٍ

فَلَا الصَّدَى وَلَا الْمَدَى  
يُرَدِّدُ اسْمَكَ فِي  
لُجَّةِ هَذَا الرَّيْدِ

لا تَعِشْ طويلاً فلا

يُنْضِجَكَ الصَّليبُ

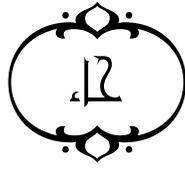
لا تَعِشْ طويلاً كي لا ترى ما

يراهُ الشَّيبُ

بعد سُجودِ لعروشٍ وتسبيحِ باسمِ هذا الأبدِ أو

ذاك الأبدِ





لا بدايةً لهذه القصيدة  
لها كلُّ البداياتِ  
لها العدمُ في تملُّمِهِ، والزَّمانُ  
في ترانيمِهِ البطيئهِ  
ولها الفراغُ  
حين الفراغُ استدارَ ليرى  
الكونَ يولدُ  
في رَحِمِ الخطيئهِ

لا بدايةً لهذه القصيدة  
أبطالُها ماتوا على  
عتبةِ المشهدِ الأولِ، والمراثي  
عَلِقَتْ في جناحِ قذيفهِ

لا كاهنَ يَبْخُرُ في الجنازةِ الا عذارى تنحَبِنَ الغيابِ الا اُحذية

تدوسُ العِشْبَ في

هذه

المقبرةِ

النّظيفه

لمن هذه الأرضُ إذن

؟

لمن هذه الوظيفةُ

؟

لا نهايةً

لا بدايةً لهذه القصيدةُ

يسألُ

هو الذي يسألُ:

مَنْ سَمِعَ صَوْتَ الْكَوْنِ حِينَ

كَانَ جَنِينًا يَخْفِقُ فِي

رَحِمِ الْعَدَمِ

؟

مَنْ التَفَتَ إِلَى بُكَائِهِ الْأَوَّلِ حِينَ

سَقَطَ نَقْطَةً حَبْرٍ مِنْ

فَرْجِ الْقَلَمِ

؟

يسألُ

هو الذي يسألُ:

لِمَاذَا حِينَ تَطَأَ قَدَمٌ بَشَرِيًّا كَوَكْبًا

يَغْرَزُ فِي أَرْضِهِ عِلْمٌ؟

لماذا يُختزل الكون في

وطنٍ في

حُرَافَةٍ في

عقيدته؟

يسألُ

هو الذي يسألُ

لا بدايةً لهذه القصيدة

لا آخرَ لا

آخرةً لهذا الألم

إلهٌ ينفُخُ الكلامَ في ثلاثيةٍ من وترٍ

أضاعَ نايه عندَ حافةِ مجرّةٍ

أو سريرٍ

أو قمرٍ

وتاهَ

تاهَ يبحثُ عن نغمٍ

إِلَهُ

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَا يَعْلَمُ  
أَضَاعَ لَوْحَهُ فِي خَزَائِنِ الْكُونَ  
جَفَّ صَوْتُهُ فِي وَحْيِ الْقَلَمِ

نَادِهِ إِذَنْ

نَادِهِ

بِأَعْلَى صَوْتِكَ

وَقُلْ لَهُ:

يَا أَبِي...

لَا

بَلْ قُلْ لَهُ:

يَا زَوْجَ أُمِّي الْغَائِبِ

لَا أُرِيدُ النَّزُولَ مِنْ عَلَيَاتِكَ

لَا أُرِيدُ نَزِيحًا غَيْرَكَ

ها أنا هنا مُعَلَّقٌ

عَالِقٌ

تدبّرتُ أموري بدونك

كما ترى

يا من ترى

فلا تبحث عن اسم لي في

خزائنك الكونية

في الجوايز

فقد تدبّرتُ أموري

وجروحي

والمسامير

سأحبُّ أعداءك

نعم

سأحبُّ أعداءك الذين يبصقون في وجهي

وأخي موتاك

نعم

سأحي موتاك ليموتوا مرتين

وأطرد الخنازير من قلوب العذارى

وأنهي الآلام

بالألم

نعم

لكن

قل لي برتك

بعد أن كتبت بالأسود هذا الكون

بعد أن كتبتة وشطبتة مرّة

ومرتين

قل لي برتك

أين وضعت ذلك القلم؟

أن تكون طفلاً أو

لنعد قليلاً إلى الوراء

أن تكونَ بيضةَ حمامةٍ أهملتها الأفاعي أو

لنعد أكثرَ إلى الوراء

إلى خطيئةِ الأنفاسِ الأولى تعبِقُ في

هذا الهواء

إلى جنّةٍ شوّهتها الحكايةُ إلى

امرأةٍ بلا اسمٍ إلى إنانا

أو حواءَ

أن تكونَ تفاحةً علقتُ في حلقِ التداعي

أو مجازًا لكلِّ مجازٍ أضعُ المساعي

لكي تُمسِكَ بأوّلِ حرفٍ يُحيلُك إلى

أوّلِ كلمةٍ توصلُك إلى

أوّلِ بدايةٍ تُطمئنُ كهُولتِكَ

تُكدرِسُ معانيك في

معاجمِ الخَواءِ

إِنْ تَكُونُ طِفْلاً لَا

تَعُدُّ إِلَى وِرَاءِ

إِنْ تَكُونُ طِفْلاً كُنْ

صَدِيقًا لِلرَّيْحِ تَأْخُذُكَ إِلَى

مُنْتَهَاكَ

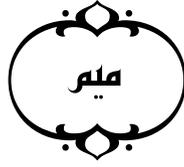
إِلَى حَيْثُ أَنْتَ هُوَ

أَنْتَ بِلَا اسْمٍ

بِلَا مَهْدٍ

بِلَا رِثَاءٍ





في الحُلْمِ

لا حاجةَ للدَّورانِ بأرضٍ

لا حاجةَ للجاذبيَّةِ بسقوطٍ

لا حاجةَ للإلهِ بخطيئةٍ

في الحُلْمِ

وحدها الرِّغبةُ تحلِّقُ أنثى على

هيئةِ المنامِ

وفي الحُلْمِ كما في الحُلْمِ

كلُّ شيءٍ واقعيٌّ

كلُّ شيءٍ ثابتٌ كتحوُّلٍ

الغَمَامِ

تسقطُ الممالكُ مع سقوطِ الشَّعرِ

وتنهضُ القُبورُ في قيامَةِ الشَّعرِ

وفي الكهوفِ المُعتمةِ تجدُ نفسكَ مع

السّاحراتِ تَأْكُلُ فَطُورَ الصَّبَاحِ

أما العُرْفُ المُغلَقَةُ فَمِهي

مُغلَقَةٌ

لا داعي أن تبحثَ في الحُلْمِ عن قِفْلِ أو

مِفْتَاحِ

فلا بابَ في الحُلْمِ يُفْضِي إلى الحُلْمِ

وما تكتبُهُ الرِّيحُ

تمحوهُ الرِّياحُ

في الحُلْمِ

يَصيرُ لكَ اسْمًا يَلِيقُ

بِهزائِمِكَ المَنسِيَّةِ

وهُوِيَّةِ

تَلِيقُ بِضِياعِكَ

وقضيه

تليقُ بأوطانك المنفيّه

وفي الحلمِ

عشِ انتصاراتك

واخترِ الساعَةَ

فلكلِّ ساعةٍ ظلُّها

ولكلِّ ظلِّ طريقتهُ في

اختفائك

واحذر من ظلالك فهي

أكثرُ منك عددًا وخبرةً في

مناورةِ الشمسِ

وإن مُتَّ فانتِ المنتصرُ

ولا تنسى أن تُعلِّقَ حُرُوفَ اسمِكَ أوسمةً على

صُدُورِ ظلالِكَ

في الحُلْمِ

كما في الحُلْمِ

كلُّ شيءٍ حقيقيٌّ

كلُّ شيءٍ يَمُرُّ مِنْ هُنَا سِوَى الطَّرِيقِ

فتبَلَّل

يا أَيُّهَا الْمُنْبَعِثُ مِنْ رَمَادِكَ

تبَلَّلْ

ها هي أَرْضُكَ غَابَةٌ

والكونُ حريقٌ

وها هي طَرِيقُكَ

هل تراها في كَوْنٍ يَنْقَسِمُ؟

اقْفِزْ إِذْنِ

ولا تَسِرْ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مُرْهَقًا وَلَا

تَضْرِبِ المَوْتَ والمَوْجُ يَلْتَطِمُ

فلا الخيلُ

ولا الليلُ

ولا البیداءُ تعرفُكَ

ولا الرُّمَحُ يَطالُكَ ولا

القَلَمُ

اقفزُ

يا أَيُّها المُنْبَعِثُ مِنْ قاعِكَ

اقْفِرُ

اقفز عن هذا الطريقِ

اقفز

من سفينةِ نَفْسِكَ

إليكَ

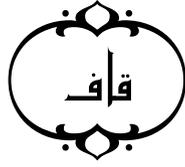
فهذا الزَّمانُ ليس زمانَكَ

هذا الزمان غريقُ

غريقُ

غريقُ





أَن تُولَدَ فِي رَدْمِ قَوْسٍ

أَن تَسْبِقَ الْبُشْرَى

وَتَصْرِفَ الصِّدَى

أَن يَشُدَّكَ اللَّيْلُ إِلَى كَتِفِهِ

أَن يُغْلِقَ عَيْنَهُ الْيُسْرَى

وَيَثْقُبَ الْمَدَى

أَن تُولَدَ فِي صَرْخَةِ كَوْنٍ

كَانَ هُنَا

خَلْفَ أَجْفَانِ الزَّمَانِ الْبَعِيدِ

يَسْقُطُ نَجْمٌ مَرَّ مِنْ هُنَاكَ

وَلَا شَيْءَ غَيْرِ التَّيِّهِ أَكِيدُ

وَأَنْتَ

يَا أَيُّهَا الْمَبْتُورُ

يَا أَيُّهَا الْمُؤْتُوْرُ

عَلَى حَشْبِهِ

هَا هُوَ الْإِلَهِ يُشْعَلُ غَلِيُونَهُ

يَصْفُرُ لِحْنَهُ

يَقْرَأُ الدُّخَانَ

يُمَرِّقُ الرِّمَانَ

وَالْكُونَ كُنْبَهُ

أَفِقْ إِذْنُ

أَفِقْ

مِنْ عَلِيَّائِكَ

وَادْخُلْ

فِي فِرَاغِكَ الْأَوَّلِ

وَتَقُ

بِفِرَاشَاتِكَ

وَأَعْبُرُ

بِرَفَّةٍ

إِلَى مِيلَادِكَ الْمُؤَجَّلِ

أَفِيقُ

فِي التَّرَابِ

بذِرَةً تُبْعَثُ

بَعْدَ غِيَابِ

وَكُنْ

كُنْ مَعَ التَّمَلِّ

فِي دُرُوبِ التَّمَلِّ

حُجَّةً لِلْبَعَثِ وَالْخِرَابِ

أَفِئُّ

وَلَا تَتَّقُ

بِزُرْقَةِ السَّمَاءِ

كُلُّ مَتَاهٍ يَرْتِقُ

ثَوْبَ مَتَاهُ

كُلُّ سَرَابٍ يُفْضِي

إِلَى سِوَاهُ

أَنْ تُولَدَ فِي الضَّوِّءِ

تُسَابِقُ الزَّمَانَ

وَالْمَكَانَ

وَالظَّلَامَ

تُتَقِنُ الصَّمْتَ

وَالكُونَ

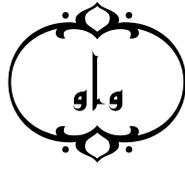
كَلَامٌ فِي كَلَامٍ فِي كَلَامٍ

هي صحوةٌ لا تعيءُ

وأرضكَ

منامٌ في منامٍ في منامٍ





في الليلة التي سبقت ولادة الكون كنتَ ساهراً مع أمِّكَ التي

قضتَ قبل ولادتكَ بقليلٍ

وكنتَ تُقصُّ حكايةَ الغدِ لأبنائكَ الذين رحلوا إلى الخليلِ

والقُطَيْبِينِ والجليلِ

ضحكتَ كثيراً مع وحدتكَ التي لا شريكَ لها في هذا العتَمِ

ولهُوتَ

فرسمتَ مجرَّةً

ومحوّتَ

صبغتَ الآتي بكلِّ لونٍ

وتعبتَ

من السَّوادِ تعبتَ

ومن فراغٍ يُمسِكُ بيدكَ يجوبُ بكِ الكونَ تلوَ الكونِ

في الليلة التي سبقت ولادتك كنت عارياً ترجفُ لا حراكُ  
تبحثُ عن قهوتك ولا تجدها إلا بصحبة الموت  
تبحثُ عن الموت تجده متعقِّناً في جيبك الأيسرُ  
تمدُّ يدك إلى جيبك فلا تجد غير جلدٍ مرخيةٍ بين فخذيك  
تُراقبُ الكونَ يتمدّدُ  
تمدُّ يدك إلى الكونِ فيعطسُ في وجهك  
أو يبصقُ  
اذهب الآن إلى موتك الأبديِّ كي تولدَ  
كي تتجدّدَ  
بالجرحِ  
اذهب  
اذهب بالجرحِ إلى حيث المكانُ  
يتوهُ في المكانِ  
إلى الزمان حيث الزمانُ  
يتبدّدُ

وامضِ إِلَى غَدِكَ  
مُعتليًا صهوةَ حاضركَ السَّجينِ في  
غيايِكَ المؤبَّدِ

في الليليةِ التي سكنَ فيها الزمانُ

كانَ العبورُ

باردًا

وادعًا

يتذبذبُ

كانَ العبورُ منكَ إِلَيْكَ

وإليكَ منكَ

ومنكَ إِلَيْكَ يدورُ

يدور

يتقلَّبُ

والكونُ في اتّساعِهِ الأزليُّ

يمورُ

في الليلة التي نزعَتْ عنكَ قميصَهَا الكُحليَّ عرَفْتَ وخَزَ

السَّنابلُ

وعرَفْتَ أَنَّ الخَبَرَ السَّاحِنَ لا يَسِيرُ إلَّا حافِيًا بين مجرّتين

منفرجتَيْنِ

وعرَفْتَ ما عرَفْتَ من أسرارِ السَّقْسَقَةِ في الأعشاشِ المُعْتِمَةِ

وَدُبَّتْ

كما السَّمَاءُ تَدُوبُ في نجومِهَا

مُجْتَمِعَةً

وَدُبَّتْ

كما يفعلُ الإلهُ في أكوانهِ الرّطبةِ

المتّسعةِ

ولم تعدْ

هل تذكر؟

هل تذكرُ الليلةَ التي نزعْتُ عنكَ أوَّلَ قُبْلَةٍ ولَوْنَتْ بِهَا كَلَّ

القُبْلَانِ

حينها

لم تَعُدْ

وحينها

عرفتَ أنَّ الزمانَ غائبٌ

لا يعودُ إلا راکعًا

في كونهِ الدَّائِبِ

لا يعودُ إلا راکعًا

تارةً لنازِةً

وتارةً

لجوعِ بطعمِ التَّمْرِ

وتارةً لهَيْبِلِ

هل تذكرُ حينها كيف خبأتَ سرًّا بعضَ القُبْلِ؟

هل تذكرُ؟

في الليلة التي وُلِدْتَ فيها كنتَ تُدخِلُ يدَكَ إلى ثُقبِكَ الأسودِ

وتشدُّ بها رأسَكَ

عميقًا

تشدُّ رأسَكَ

إلى موتِكَ المؤبَّدِ؟

في تلك الليلةِ كان الضَّوُّ

لا سليلَ لَهُ

في تلك الليلةِ

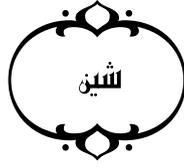
وحده

منتشرًا

في كونهِ المُفتَّتِ

لا شريكَ لَهُ





... .. والكونُ سمفونيَّةٌ عجفاءٌ تهيمُ في أوتارها ترجفُ تهبُّ في قصبتها  
 النُّحاسيِّ تفتُرُ تمورُ في جلودها المشدودةِ المُقعِّعةِ تُلَوِّحُ بعصا الضَّوِّءِ  
 المِراوِغِ تردُّ الصدى تصمتُ بكلِّ ما أُوتيتُ من طنينٍ تطوي المدى تَخْمُدُ  
 تُنَوِّعُ على نغمةٍ ضائعةٍ تلوذُ بشهواتها تُداعِبُ ثقبوها السَّوداءِ بأصابع الزَّمنِ  
 المُتجمِّدةِ تقفُرُ من جُرمٍ إلى جُرمٍ | يتشابكُ الدَّرُّ | تحرُّثُ الفراغُ المُظلمَ  
 بأظافرٍ مؤلِّفٍ يموت في كلِّ نغمةٍ ويحيا تُشعلُ مجرَّةٌ تدخُنُ سرًّا مع نجمٍ  
 قزِمٍ انحرف عن مداره تُسَقِّسِقُ بين فخذيِّ سديمٍ تنتشرُ بين أجمامه  
 تُخلخلُ غُبَارُهُ تعكسُ أنوارَ نجومِهِ على ذرَّاتِ مارِدٍ عارٍ من كلِّ جسدٍ من كلِّ  
 اسمٍ من كلِّ عقيدةٍ تبتَرُدُ تتفتَّرُ نغمةً بعد نغمةٍ تتباطأُ تتوارى تلوذُ بـ

نَ

فَ

قِ

ها

ال

دُ

و

دِ

يِّ

إلى

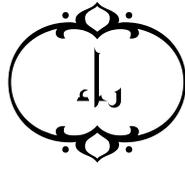
كونٍ آخرَ

فلا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ

... ..

أما زلتَ تسألُ لمن هذه الأرض؟





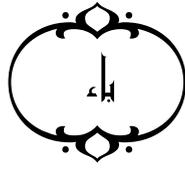
أَنْ تَكُونَ بِلَا أَجْنَحَةٍ  
فَوْقَ صَهْوَةٍ تُعَانِدُ الرِّيحَ  
تُبَعَثُ حُرُوفَ اسْمِكَ  
تَتَعَرَّى  
تَسْتَرِيحُ

أَنْ تَكُونَ بِلَا صَوْتٍ  
فِي فَجْرِ كَوْنٍ فَصِيحٍ  
تَحْتَرِفُ لُغَاتِ الصَّمْتِ  
وَمِنْ حَوْلِكَ  
كُلُّ يَصِيحٍ

أن تكون بلا ظلالٍ  
تشتهي فيك الشَّموسُ العبورَ  
والأقمارُ تنتشي -  
تلحق رُكَبَ الضَّيَاءِ،  
تمتطي النَّسورَ

أن تكونَ، لا لشيءٍ  
سوى أن تكونَ غائبًا  
تتلمَّى بترتيب النّجومِ،  
تشتيتها  
هائماً





صدرها فراشهُ

قلبُها

ألف مسافةٍ من الشوكِ المُقَدِّدِ

ضاع الأبدُ فيها

وفيكِ

وضعتما

في حلمٍ

نصفهُ أفاقَ في غفلةٍ

نصفهُ

يُصغي لأغانيكِ

فراشهُ صدرُها

والفضاء الذي يجمعكما تمدد

قالت: ليتنا نتخاصرُ

قلت: لا خاصرة للروح

وانتشر الزمانُ فيها

وفيكَ

تفتي

في زوايا العشق المؤبد

وتنتي

رائحة القُبل في

فيك

هل تعرفُ الفراشةَ؟

هل تعرف الفراشةَ أَتَكَ الضَّوْءَ المِقْصَلَةَ حينَ تُنَاجِيكَ؟

كلاكما هنا في الهُنا معًا

مذ تفجَّرَ الكونُ فيكما

مُذ تبدَّد

مذ كنتَ شامئًا على مَقْرِبَةٍ من سِرِّهَا الشَّامِيِّ المُوَسَّدِ

أورقَّةً

في رحلتها

هي الفراشةُ

لا صوتَ لها

لا صدىَ لصمتِها المَغْتَى

معًا أنتما

مثنى في واحدٍ

وكلُّ واحدٍ مُثَنِّي

متلاصقيْنِ

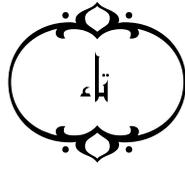
كمثل مجرّتين

واحدةٌ تُخاصرُ الفراغَ

وأخرى

تُعانقُ المدى





وقالَ الجالسُ على العرشِ: ها أنا أعيدُ خلقَ الأشياءِ حينَ  
أعيدُ خلقَ الأسماءِ

وقالَ:

الخالقُ هنا لأنَّ في كلمةِ الخلقِ

وقالَ

دونَ أنَ ينبسَ

وقالَ الجالسُ على العرشِ: كي ترفعَ جرحًا على صليبِ الأبدِ

لا بدَّ من تَلَّةٍ من الجماجمِ

تفغرُ بأوجاعِها

دونَ أنَ تهمسَ

وقالَ

الجالسُ على العرشِ: أنا هو الألفُ وأنا الياءُ

أناهُوَ

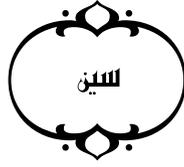
أناهي

وما بينهما

واحدٌ لا ينتهي

في كونٍ مُحَتَّى





هنالآن وجع الكون خطيئته خلقتها النعمة يلوكمها الخوفُ

يبتلعها الإنكارُ

هنالآن غائطُ اسمه الحياةُ

هنالآن

على هذه الأرضِ

ما الذي يستحقُّ الحياةُ

!؟

الخائفُ

في بحيرةٍ تتقدُّ بالنارِ والكبريتِ

يسبحُ

والضالُّ

في يقينٍ ينغلقُ في الزّمنِ القتيبِ

يترنّحُ

لا سؤالَ خارجَ السُّؤالِ لا خلقَ خارجَ الخلقِ

في الكلمةِ تولدُ الأشياءُ

في السؤالِ

تفتَحُ

هنا الآنَ

يختفي الكونُ

ولا يبقى غيرَ أُورَ قُدسيِّ

عاليِّ

في خلقِ الجحيمِ

هنالآن

لا شيء في الظلمة غير العروس

زوجة الحمل

...

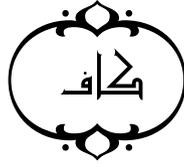
ما كان اسمها

؟

أما كان اسمها أور شاليم

؟





يا أيها الواقفُ على سَكَّةِ القطارِ

أما زلتَ تنتظرُ

موتَكَ

الحافلَ بالبشرِ

؟

أما رأيتَ سماءَ جديدهُ

أرضًا جديدهُ

تشقُّقاتِ جسدِ

كان يومًا

جسدًا مائجًا في

بحرِ

؟

ألم تعدِ إلى أوَّلِكَ

إلى

طفولة الكونِ اللّاهية

إلى

أيامِك التي لم تعيشها بعدُ

إلى

أحلامِك البعيدة

؟

ألم تعد

ولو للحظةٍ شعريّةٍ واحدةٍ

إلى

سؤالِك

إلى

بدايةِ هذه القصيدة

؟

يا أَيُّها الْمُنْتَظَرُ

على

سِكَّةِ الْقِطَارِ

مُظَلَّلًا بِالْتَّهَيَّاتِ وَالسُّدُورِ

انْحَرِفْ قَلِيلًا

وَاحْرُجْ

بِقَلَمِكَ الْفَوْلَازِيِّ

بِخَطِّ جَدِيدٍ

يُقْلُ الْخُطُوطَ

وَيَمْحُو السُّطُورَ

يا أَيُّها الْقَادِمُ مِنْ مَحْوِكَ

تَقَدَّمْ

فِي خَطِّكَ الْمُثَلَّمِ

وَانظُرْ

إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَغْمُورَةِ بِالْحَبْرِ

والدَّمَاءُ

قِسْمُهَا بِقَصَبَتِكَ الْكُونِيَّةِ كِي تَرَى فِي الْمَدَى طَوْلَ

الهِبَاءِ

وَاقْرَأْ لَهَا مَا لَا تَقْرَأُ مِنْ آيَاتٍ تَزِينُ بِهَا سِدْرَةَ الْمُنتَهَى

وَبِهَا

تُبْلَغُ الْمُشْتَهَى

تَسْتَضِيءُ بِهَا

وَبِهَا

تُمْسِكُ يَدَ الْعَتَمَةِ الْحَافِيَهُ

تَعْبُرُ بِهَا الْكُونََ الْحَرِيقُ

إِلَى أَنْ يَفِيقُ

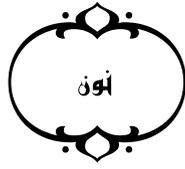
إِلَى أَنْ يَفِيقَ الْمُنتَهَى مِنْ مَنْتَهَاهُ

وَيُكْمَلُ

بِكَلِّ جُرُوحِهِ الدَّامِيَهُ

يُكْمِلُ الطَّرِيقُ





لا تسأل لمن هذه الأرضُ  
فلا هي البدايةُ ولا هي الرَّحْمُ الخَرِبُ  
ولا هي النَّهايةُ ولا هي الكونُ التَّربُ

منها

رُفِعَتْ سِدْرَةُ الْمُنتَهَى

وتشعبتُ

أحدَ عشرَ كونًا

لكلِّ كونٍ خاصرةُ اللَّامُنْتَهَى

وتفرعتُ

فكانَ نَبْقُهَا حُلُوَ النَّبِيدِ

وقلائُها

في انتشارِها المُتَرَيِّثِ اللَّذِيذِ

لا شتاءَ لها لا عُرْيَ لا فُصولَ

أوراقُها

كأذانِ الفُيُولِ

في جوفها شهابٌ

أو اثنانِ

خريفُها نيازكٌ تتساقطُ كالقُتاتِ

في أصلها نَهْرٌ

وَ

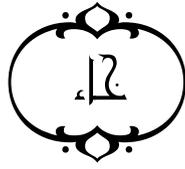
نهرانِ

نهرٌ يسري في الرّغبة

سرّاً

ونيلٌ يسكُبُ نبيذَهُ للفراتِ





لا تسأل عن الجسد

هو الألفُ وهو الياءُ

فيه

في مَلاهيه

ومَناهيهِ

هو الذي

لا مرآةَ له إلا ذاته

فلا يرى فيها

غير آخرَ

يتردّدُ في الأبدِ

إلى أبدُ

لا تسأل عن الجسدُ

في عينيه نفقُ

يبتلع الزمانُ

لا مكانَ للجسدِ فيهما

له كلّ مكانُ  
فإن رغبَ الولوجَ فيهما  
والانزلاقَ في تمههما  
فلا عليكَ  
أجُّها الإلهُ المنتصبُ سوى  
أن تحرفَ سبيلك في  
الكونِ المحنّي  
وأن تكون أنثى  
لا بصيغة الواحدِ لكن  
بصيغة المثنّى

لا تسأل عن الجسد

فالولوجُ إلى كونه

يُبطئُ الزَّمانَ

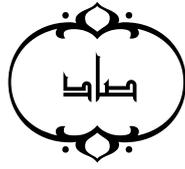
يوقيفُهُ

ليفلتَ من الزَّمانِ

جسدًا

بلا جسد





كُونُ

يبحثُ عن مرآةٍ

خارجَ الجسدِ

يُخرج حروفَ اسمِهِ

من جيوبيهِ

يُبعثرُ الأبدُ

كُونُ

كيف ينظرُ إلى عينيهِ

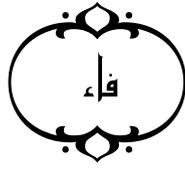
والأفقُ أكفانُ؟

كيف يقتفي ما تبقى من خُطاهِ

دون أن يفتحَ نوافذهِ على

غير أكوانُ؟





لمن هذه الأرضُ

وقد وارى فيها

سوءةَ أخيكَ

الغرابُ

؟

لمن هذه الأرضُ

كلُّ ما فيها سماءً

لا ترونها كتبٌ ولا يُشبعها

تُرابُ

أرضُ

والأخُ القاتلُ يحملُ في جِرابٍ

جُثَّةَ أخيه المقتولِ

أُترى

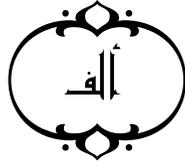
من هو القاتلُ

أهَوَ الحاملُ

أم هو الذي في جِرابٍ

محمولٌ؟





يا سماءُ أذري في صرخاتك

وأزعيدي

فما أنتِ باقيةٌ في

نحو الغمامِ

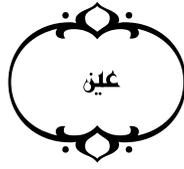
ويا أرضُ ابلعي ماءك

واصمتي

فما الألفُ فيكِ سوى

ياءُ الكلامِ





يا أَيُّهَا الْمَارُّ مِنْ نَاهِذَتَيْنِ

انتشرْ

ها هي الأَرْضُ تدورُ في

سَهْمِهَا الْمُنْدَفِعِ

فإِذَا أَنْ تَصِيرَ إِلَى كَوْنِ

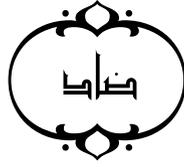
يَتَّسِعُ

وَأَمَّا فِي

جُحْرِ أَيْةٍ

تَنْحَشِرُ





يا أيها الخالق الذي

رأى

كلّما انحرفت مرأتك

اتّسعت أكوانك

والزمانُ

في انتشارك المتفتتِ

ارتأى

أترى

كيف للرائي،

حين يُرجع إلى ذاته الضّوء،

الأيّرى

كيف اعوجّ الزّمانُ،

في كلّ نظرةٍ،

وكيف الكون انبرى!

تقولُ الشَّمْسُ للغيومِ:

سأقتصُّ منك وشاحًا

أشدّه على خاصرتي

أراقصُ الزَّمنَ

أدور حولَهُ، حولي

وأبعثرُ الضَّوءَ

ويقول الغيمُ للظلالِ:

توقّفي قليلاً

كي أقرأ فيك خُطاي

أتقرى سُكوتَ الضَّوءِ

لكن

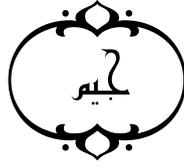
كيف تكونين لي كتابًا

إن توقفت فيك حروفي

وضاعت في الوقوفِ

كلُّ الخبايا!





لا أمل لك

بعد أن أفرغت اليأس من جيوبك

ونفضت بحارك من رمالها العالقة في حلقك المالح

لا أمل لك

لا غيمة تقرأ تحولاتك في هذه السماء الضبابية

أو أرضاً تحيك لك خطواتك الممزقة

وحدك على هذه الطريق

لا ظل لك ولا كواكب تُحصي عظامك

فمن أنت في هذا التيه سوى لمالك

تستدل به على خرائطك المتشظية

تستأنس به في منافيك المتناثرة!

لمن أرضك، إذن،

وأنت بلا أمل بلا يأس بلا سفينة أو يمامة!

لمن أرضك

وكلّ أسفارك كتبها بأبجدية الموج

وأنفاس غمامة!

لا أمل لك

فلا المطر يُبللك ولا العطبُ يُفسدك

وأنت هو ما أنتَ

سُلمٌ كرمليُّ يصعدُ إلى أسفله

زعتز بريِّ يمضغُ ألقتهُ

ومئذنةٌ تسعلُ

لا امل لك

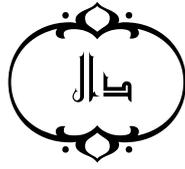
وأرضك غابةٌ

يُعشعشُ فيها الغزاةُ والطُغاةُ والعبادُ

حطّابها شاعرٌ بلا فأسٍ

يسكن في كوخه الكونيّ  
لا أبوابَ له لا شبابيكَ  
لا مصابيحَ لأمسياته البعيدة  
لا أملَ لحطّابٍ بلا فأسٍ  
وهو في حلٍّ من اليأسِ





أَنْ تَكُونَ بِلا اسْمٍ

أَنْ تَذْكُرَ خَطْوَتَكَ الْأُولَى عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ

أَنْ لَا تُشْتَرَى

لَا تُبَاعَ

أَنْ لَا تَبْتَلِعَكَ السَّمَاءُ مَعَ الْحُرُوفِ الَّتِي تَعَلَّمْتَهَا

تَبَاعًا

أَنْ تَكُونَ حَرًّا خَارِجَ اللُّغَاتِ

فَلَا تَلِدُكَ أُمُّكَ

وَأَنْتِ

بِلا اسْمٍ

أَوْ كِتَابٍ

تُنَجِبُ غَدَاكَ الْآتِي

أن تكونَ بلا اسمٍ  
كي تسير بين قذيفتين  
إلى ياسمينَةٍ  
لم تحفظ من حروفك غير الرائحة  
وتُرفرفَ بين فراشتين  
لتحطَّ فوق بحرٍ يوزعُ موجَه  
بين بيروتٍ وحيفا  
وتموتَ  
مرَّةً ومرتينِ  
لا لشيء سوى أن تتعثرَ باليعازرَ  
في تخومِ المشرقينِ  
أن تكونَ الآتي  
فلا الصمّتُ يكتبك

ولا الكلام يمحوك،  
لكنك الضوء  
فيه تنتشر كلُّ الألوان،  
لكنك الكون  
تشابكُ موجاته مع الأكوانِ

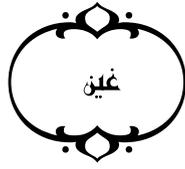
أن تكون اللحظة  
خارج البداياتِ  
خارج النهاياتِ  
لا الزمانُ يتوقفُ فيك  
ولا أنتَ تمشي في الزمانِ

يا أيُّها العالقُ هنا  
في دورةِ الأرضِ الفاترةِ  
إسألِ التُّرابَ:  
ما الذي تعرفه عن أرضِكَ،  
تُبعثُرُ فصولَها حولِ شمسٍ ثائرة،  
عن مجرَّةٍ تُجرجرُ كواكبها  
تهيمُ في مداراتها  
حائرة!

يا أيُّها المُحاصرُ  
في اتّساعِ







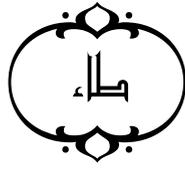
أن تكونَ نجمًا أفلتَ من ليلِهِ

غرابًا

علّمَ الأخَ كيفَ يدفِنُ أخاهُ

وغادرَ المقبرهَ





على مرّ العصورُ

تضربُ الخيولَ أرضَكَ بحوافرِ الزّمنِ

تُقشِّرُ

تَدُمِي

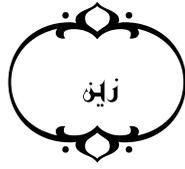
تَسْقُطُ

تَتَعَفَّنُ

...

أعرفتَ كيفَ تعتاشُ النُّسورُ؟





هل تعرف أين تجدَ العبورَ

من كونٍ إلى كونٍ؟

هل تعرف أنك لن تجدهُ هنا

لا في تنقُسِ الغيمِ

ولا في القبورُ

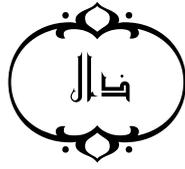
العبورُ

من كونٍ إلى كونٍ

لن تجده سوى في

كلمةِ العبورُ





أن تكون اللاشيء

وحدك

تتمشى على سكة قطارٍ لا يجيء

لا شمسٍ حولك

لا فيء

الذئبُ لا تأكلُ الذئبَ

وحدُه الجوع يأكل

كلَّ شيءٍ

ماذا خلف الأكوانِ

بعدها      قبلها

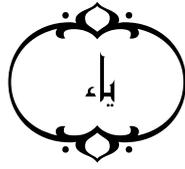
ماذا سواك

ماذا سوى

اللاشيء

؟





أَنْثَوِيَّةُ الْهَيْئَةِ

وَالْتَّهْيَاةُ

أَفَلْتَتِ عَيْنَاكَ مِنَ الضُّوْءِ

خَارِجِ الْمُنْحَنِ

عَلَى رَصِيفِ مَجْرَةٍ لَمْ تُولَدْ بَعْدُ

فِي رَحْمِ الْفَلَكِ

وَرَأَيْنَاكَ

أَنْتِ هُوَ

هُوَ أَنْتِ

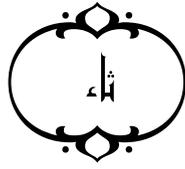
يَاؤُكَ أَوَّلُ اللِّسَانِ

وَيَاؤُكَ وَسَطُ الْحَنَكِ

هُوَ أَنْتِ التَّهْيَاةُ

وَالْبِدَايَةُ





لمن هذه الأرضُ الكذبةُ

لمن هذه الغصّةُ؟

قاييلَ لم يقتل هابيلَ

هابيلَ لم يقتل قاييلَ

كلاهُما قتيلانِ

والقاتل

من هو القاتلُ على هذه الأرض؟

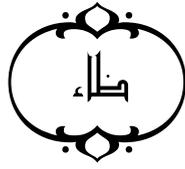
أليس هو ذاك الحيّ الباقي

كاتب هذه القصّةُ؟

لمن هذه الأرضُ إذن

لمن هذه الغصّةُ؟





لأنك بلا اسمٍ بلا أرضٍ بلا كتابٍ

لأنك سؤالُ الأبدِ

بابٌ يُفضي إلى بابٍ

ولا جوابٍ

لأنك الأبجديَّةُ تمرَّقت

انتبهُ

كي لا تلملمك المعاجم

من جديد

كي لا تعود إلى معانيك الفولاذيَّة

ولأنك التائهُ الوحيدُ على سكة القطار

انتبهُ

كي لا يرتطمُ رأسُك بالقضبان الحديدية

من جديد

كي لا تنزف للمرة الألف

أو أكثر  
لم أعد أذكر  
قلت لي ذات مرّة  
حين سألتك  
ما هو أجمل شيء في هذا الكون؟  
قلت لي جازماً  
بلا صوتٍ بلا لمسٍ  
أجمل ما في الكون  
عبادُ الشمسِ

لأنك بلا اسمٍ بلا أرضٍ بلا كتابٍ  
فأنت الضّوءُ لا زمن له  
له كلّ زمنٍ  
حيث تكون

يصير الفراغ مكانًا

ويصير الدفء لغةً جسدٌ

وسألتك

بلغة الهمس:

عباد الشمس؟

قلت لي:

جسدٌ هزيلٌ

يحمل فوق وهنه

رأسًا بحجم الكون

إلى أبدٍ

